تفسير

سورة لم يكن[١][٢]

بسم الله الرحمن الرحيم

١ـ٢. ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ؛ يعني اليهود والنصارى .

﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ؛ يعني مشركي العرب ، وذلك أن الكفار كانوا جنسين :

أحدهما : أهل الكتاب [الفرق][٣] اليهود ، والنصارى[٤] كانوا كفاراً[٥] بإحداثهم في دينهم ما كفروا به كقولهم : ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة :٣٠] ، و﴿[٦]ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة :٣٠] .

---

(١) تسمى بسورة أهل الكتاب ، وسُمِّيت أيضاً : سورة البيِّنة ، وسورة القيامة ، وسورة البرية ، وسورة الانفكاك . انظر : الإتقان ١/ ١٥٩ .

(٢) فيها قولان : أحدهما أنها مدنية ، والآخر أنها مكية . انظر : المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٧ ، وزاد المسير ٨/ ٢٨٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٣٨ ، ولباب التأويل ٤/ ٤٩٨ ، وروح المعاني ٣٠/ ٢٠٠ .

(٣) (لفرق) في كلتا النسختين ، وأثبت ما جاء في التفسير الكبير ٣٢/ ٣٩ لاستقامة الكلام به .

(٤) بياض في (ع) .

(٥) بياض في (ع) .

(٦) في (أ) : (هو) .

والثاني : المشركون ، وأهل الأوثان الذين كانوا لا ينتسبون إلى كتاب ، فذكر الله -تعالى- الجنسين[١] بقوله : ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾[٢] .

وقوله : ﴿مُنفَكِّينَ﴾ . قال أبو عبيدة[٣] ، والأخفش[٤] ، والمُبرِّد[٥] : «زائلين» .

وأنشد أبو عبيدة[٦] لذي الرمة :

حَراجِيجُ لا تنْفكُّ إلَّا مُناخَةً

على الخَسْفِ أوْ نرمي بها بَلَداً قَفْرا[٧][٨]

---

(١) غير مقروء في (ع) .

(٢) ما جاء في تفسير ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ قد نقله الفخر بنصه في التفسير الكبير ٣٢/ ٣٩ ، ٤٠ .

(٣) مجاز القرآن ٢/ ٣٠٦ .

(٤) تهذيب اللغة (فك) ٩/ ٤٥٨ .

(٥) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٦) لم أجده في مجاز القرآن ، وهو من شواهد الفرَّاء في معانيه ٣/ ٢٨١ .

(٧) (أو نرمي به بلداً قفراً) : غير مقروءة في (ع) .

(٨) ورد البيت في ديوانه ٣/ ١٤١٩ ، وتهذيب اللغة (فك) ٩/ ٤٥٩ ، ولسان العرب (فك) ١٠/ ٤٧٧ ، وكلاهما برواية : (قلائص) بدلاً من (حراجيج) ، والصحاح (فكك) ٤/ ١٦٠٣ ، وفيه (ما تنفك) بدلاً من (لا تنفك) ، وتاج العروس ٧/ ١٦٩ ، وفيه (قلائص) بدلاً من (حراجيج) ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٣/ ٢٨١ ، وكتاب سيبويه ٣/ ٤٨ ، ومغني اللبيب ١/ ١٣١ ش ١٠٧ ، وشرح المفصل ٧/ ١٠٦ ، وفيه (ما تنفك) بدلاً من (لا تنفك) ، والهمع ١/ ١٢٠ ، طبعة دار المعرفة ، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٧٢ . الحراجيج : الطوال ، جمع حرجوج ، يقول : لا تفارق هذه الإبل السير إلَّا في حال إناختها ، والخسف : الإذلال ، وهو أيضاً المبيت على غير علف . انظر : حاشية كتاب سيبويه ٣/ ٤٨ ، يقول : «ما ينفصل عن جهد ومشقة إلَّا في حال إناختها على الخسف ، وَرَمْي البلد القفر بها ؛ أي تنتقل من شدة إلى شدة» . انظر : شرح أبيات معاني القرآن ١٣٠ .

وأنشد أيضاً للكميت[١] :

ولمْ تنفكْ مما على مَنْ يكيدُهُ غبارٌ[٢] أثارتهُ السنابكُ أصهبُ[٣]

ومعنى انفك : (انفصل ، يقال : فككت الشي فانفك)[٤] ، ويستعمل بمعنيين ، الأصل واحد :

أحدهما : الانفكاك الذي هو الانفصال والبينونة من الشيء بعد الملابسة والاجتماع ، تقول : قد انفككت منك ، وانفك الشيء من الشيء[٥] .

(والثاني بمعنى : ما زال[٦] ، ولا يزال ، يقول : ما انفك يفعل كذا ، ولا ينفك يفعل كذا ، وإذا استُعمل بهذا المعنى فلا بُدَّ من أن يكون معه جحد[٧] ، يقول : ما انفككت[٨] أذكرك[٩] . تريد : ما زلت أذكرك ، وأصله هذا أيضاً من الانفصال من ذكرك)[١٠] .

---

(١) بياض في (ع) .
(٢) في (أ) : (غباراً) .
(٣) لم أعثر عليه في ديوانه .
(٤) ما بين القوسين من قول الليث ، نقله عن الواحدي من تهذيب اللغة (فكك) ٩/ ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، وانظر : الصحاح (فكك) ٤/ ١٦٥٣ ، ولسان العرب (فكك) ١٠/ ٤٧٥ .
(٥) بياض في (ع) .
(٦) في (أ) : (وأزال) .
(٧) أي (نقي) .
(٨) في (أ) : (انفككت) .
(٩) في (أ) : (أذكر) .
(١٠) ما بين القوسين من قول الفرَّاء نقله عنه بتصرف من معاني القرآن ٣/ ٢٨١ ، وانظر : تهذيب اللغة ٩/ ٤٥٨ ، ٤٥٩ .

ومن هذا قول طرفة :

فآلَيتُ[١] لا يَنْفَكُّ كَشْحي بِطانَةً لِعَضْبٍ رَقيقِ الشَّـــفرَتينِ مُهَنَّدِ[٢]

أي لا يزال .

وكذلك قول الكميت الذي أنشـــدناه ، فأمَّا قـــول ذي الرمة : «لا ينفك إلَّا مناخـــة» فجعله الفرَّاء من الانفكاك الذي هو الانفصال ، قال : «لأنك لا تقول : مـــا زلت إلَّا قائماً ، ودخول (إلَّا) في قوله : (إلَّا مناخة) يدل على قوله أنه لم يرد لا ينفك : لا يزال» .

وجعله غـــيره[٣] بمعنى : لا تَزال[٤] ، وتكـــون (لا) صلة[٥] للضرورة ، أو تحقيقاً لحالتيها من الإناخة على الخسف ، أو السير عليها .

وأمَّا الذي في الآية فهو من الانفصال ، وليس بمعنى : لم يزالوا[٦] .

---

(١) في (أ) : (ماليت) .

(٢) ورد البيت في ديوانه ٣٧ ، طبعة المؤسســـة العربية ، والكشف والبيان ١٣/ ١٣٢أ برواية : (الرقيق) ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٤٠ . معنى البيت : لا ينفك : لا يزال . وما انفك : ما زال ، والبطانة : نقيض الظهارة .والعضب : السيف القاطع . وشفرتا السيف : حداه ، والجمع : الشفرات والشفار . يقول : ولقد حلفت أن لا يزال كشحي لسيف قاطع رقيق الحدين طبعته الهند منزلة البطانة للظهارة . انظر : ديوانه ٣٧ .

(٣) كالمازني ، وأبي جعفر . انظر : إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٧٢ ، وشرح المفصل ٧/ ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٤) في (ع) : (ما زال) .

(٥) أي (زائدة) .

(٦) بياض في (ع) .

قال عطاء[١] ، والكلبي[٢] عن ابن عباس : «لم يكونوا منتهين عن كفرهم بالله وعبادتهم غير الله» ، (وهو قول قتادة[٣] ، ومقاتل[٤])[٥] .

قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ . قال ابن عرفة : «أي حتى أتتهم[٦] ، لفظه لفظ المضارع ، ومعناه الماضي»[٧] .

وهذا كقوله : ﴿مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [البقرة :١٠٢] ؛ أي ما تلت ، وقد مَرَّ بيانه .

وقوله : ﴿ٱلْبَيِّنَةُ﴾ . قال ابن عباس : «يريد محمداً ﷺ»[٨] ، وهو قول مقاتل ، قال : «يعني محمداً مبيِّناً لهم ضلالتهم وشركهم»[٩] .

ومعنى ﴿ٱلْبَيِّنَةُ﴾ : الحجة الظاهرة التي يتميز بها الحق من الباطل ، فالنبي ﷺ بيِّنة[١٠] ، وإقامة الشهادة العادلة بيِّنة ، وكل برهان بيِّنة .

ويقول زيد : «بيِّني على هذا الأمر ، إذا كان شهد لك في دعواك»[١١] .

---

(١) الوسيط ٤/ ٥٣٩ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) ورد في تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٨٧ ، وجامع البيان ٣٠/ ٢٦٢ ، وتفسير ابن كثير ٤/ ٥٧٤ ، والدر المنثور ٨/ ٥٨٨ منسوباً إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٤) تفسير مقاتل ٢٤٦أ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٦) غير واضحة في (ع) .

(٧) تهذيب اللغة (فك) ٩/ ٤٥٨ ، ولسان العرب (فكك) ١٠/ ٤٧٧ .

(٨) الوسيط ٤/ ٥٣٩ ، ومجموع الفتاوى ٥/ ٨٩ ، وقال بمثله قتادة في بحر العلوم ٣/ ٤٩٨ .

(٩) الوسيط ٤/ ٥٣٩ ، وانظر : مجموع الفتاوى ١٥/ ٨٩ ، وعبارته : (وإنها البيان) .

(١٠) ورد بمعناه عن الثعلبي في الكشف والبيان ١٣/ ١٣٢أ .

(١١) لم أعثر على مصدر لقوله .

ومعنى الآيــة : إخبار الله -تعالى- عن الكفار أنهــم لم[١] ينتهوا عن كفرهم وشركهــم بالله حتى أتاهــم محمد ﷺ (بالقــرآن)[٢] ، فبيَّن لهــم ضلالتهم[٣] ، وجهالتهــم ، ودعاهم إلى الإيــمان ، فآمنوا ، ولم يكونوا مؤمنــين منفصلين عن كفرهم[٤] قبل بعثه[٥] .

وهذا بيان عن النعمة بمحمد ﷺ والإنقاذ[٦] به من الجهل والضلالة .

والآيــة في مَنْ آمن من الفريقين ، وهذه الآية من أصعب[٧] ما في القرآن نظماً وتفســيراً ، وقد تخبَّط فيها الكبار من العلماء ، وسلكوا في تفسيرها طرقاً لا تفضي بهم إلى الصواب .

والوجه في تفســيرها : ما أخبرناك به ، فاحمد الله إذ أتاك بيانها من غير لبس ولا إشكال[٨] ويدل على هذا المراد بالبيِّنة محمد ﷺ أنه أبدل منها فقال : ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ .

---

(١) في (أ) : (لن) .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) بياض في (ع) .

(٤) بياض في (ع) .

(٥) رجَّح الإمام الطبري هذا المعنى للآية الكريمة في جامع البيان ٣٠/ ٢٦٢ ، والثعلبي في الكشف والبيان ١٣/ ١٣٢أ ، وذهب إلى ترجيحه أيضاً البغوي في معالم التنزيل ٤/ ٥١٣ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٢٨٩ ، وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٦/ ٤٨٩ عن هذا القول : «إنه الأشهر عند المفسرين» ، على أنه رجَّح قولاً آخرَ هو : «المراد أنهم لم يكونوا متروكين حتى يرسل إليهم رسول» . انظر : مجموع الفتاوى ١٦/ ٤٩٤ . وتوجد أقوال أخرى ذكرت في ما ذكرت من مصادر بهذا الشأن ، وقد فنَّدها ابن تيمية في مجموعه ١٦/ ٤٨٠ وما بعدها ، إضافةً إلى ذكرها في معاني القرآن للفرَّاء ٣/ ٢٨١ ، والنكت والعيون ٦/ ٣١٥ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٠٧ .

(٦) في (أ) : (الاعاد) .

(٧) في (أ) : (أضعف) .

(٨) قال الفخر في التفسير الكبير ٣٢/ ٣٨ تعليقاً على ما قاله الإمام الواحدي ، وبعد ما ذكر قوله في معنى الآية : «ثم إنه -رحمه الله- لم يلخص كيفية الإشكال فيها» . ثم قال : «وأنا أقول : وجه الإشكال أن تقدير الآية : لم يكن الذين كفروا منفكين حتى تأتيهم البيِّنة ، التي هي الرسول ، ثم إنه -تعالى- لم يذكر =

قال أبو إسحاق : «رسول : رُفع على البدل من البيِّنة ، والتفسير لها»[١] .

وقال الفرَّاء : «رسول نكرة استؤنف على البيِّنة ، وهي معرفة كما قال : ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [البروج :١٥][٢] فقال : قوله[٣] (تعالى)[٤] : ﴿يَتْلُواْ صُحُفًا (مُّطَهَّرَةً)[٥]﴾» . هذا من نعت الرسول ، والصحف جمع صحيفة ، وهي ظرف للمكتوب .

والمعنى يتلو[٦] ما يتضمن الصحف من المكتوب فيها ، يدل ذلك على أنه كان يتلو[٧] على ظهر قلبه ، لا عن كتاب ، لأنه كان أُمِّياً لا يكتب[٨] .

= أنهم منفكون عن ماذا ؛ لكنه معلوم إذ المراد هو الكفر الذي كانوا عليه ، فصار التقدير : لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البيِّنة التي هي الرسول ، ثم إن كلمة (حتى) لانتهاء الغاية ، فهذه الآية تقتضي أنهم صاروا منفكين عن كفرهم عند إتيان الرسول ، ثم قال بعد ذلك : ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ ، وهذا يقتضي أن كفرهم قد ازداد عند مجيء الرسول ، فحينئذٍ يحصل بين الآية الأولى والآية الثانية مناقضة في الظاهر . هذا منتهى الإشكال في ما أظن» .
والجواب عنه من وجوه : أولها وأهمها الوجه الذي لخَّصه صاحب الكشاف ، وهو «أن الكفار من الفريقين : أهل الكتاب ، وعبدة الأوثان كانوا يقولون قبل مبعث محمد ﷺ : لا ننفك عما نحن عليه من ديننا ، ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والإنجيل ، وهو محمد ﷺ ، فحكى الله ـ تعالى ـ ما كانوا يقولونه ، ثم قال : ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ؛ يعني أنهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق إذا جاءهم الرسول ، ثم ما فرَّقهم عن الحق ، ولا أفرهم على الكفر إلا مجيء الرسول» . انظر : التفسير الكبير ٣٢/ ٣٨ ، ٣٩ ، والكشاف ٤/ ٢٢٦ .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٤٩ .
(٢) ورد في معاني القرآن ٣/ ٢٨٢ بنصه .
(٣) في (ع) : (وقوله) .
(٤) ما بين القوسين ساقط من (ع) .
(٥) ما بين القوسين ساقط من (ع) .
(٦) (يتلوا) هكذا في كلتا النسختين .
(٧) في (أ) و(ع) : (يتلوا) .
(٨) نقله الفخر عن الواحدي في التفسير الكبير ٣٢/ ٤٢ ، والشوكاني في فتح القدير ٥/ ٤٧٥ ، ونسبه إلى الواحدي .

وقوله : ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ . قال ابن عباس : «يريد من الكذب ، والزور ، والشك ، والنفاق ، والضلال ، والشبهات»[١] . (وقال مقاتل : «من الكفر ، والشرك»[٢])[٣] . وقال أبو إسحاق : «أي هي مطهرة من الباطل»[٤] . يدل على هذا قوله : ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت :٤٢] ، وهذا كقوله : ﴿مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ [عبس :١٤] ، وهذا قول قتادة : «مطهرة من الباطل ، وهو القرآن يذكر بأحسن الذكر ، ويثنى عليه أحسن الثناء»[٥] . و(المطهرة) : جرت نعتاً للصحف في الظاهر ، وهي نعت لما في الصحف من القرآن ، ولكن لّما كانت الصحف مذكورة دون ما فيها أُجري النعت عليها ، وهو لما فيها ؛ كما أن المراد بالصحف ما فيها . ويبيِّن ما ذكرنا :

٣. قوله تعالى : ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ . قال عطاء : «يريد مستقيمة»[٦] . وقال الكلبي : «صادقة»[٧] .

وقال[٨] (مقاتل : «كتب مستقيمة ليس فيها عوج ولا اختلاف» ، قال :)[٩] «وإنما سُمِّيت كتباً ؛ لأن فيها أموراً شتى كثيرة مما ذكر الله في القرآن»[١٠] .

---

(١) ورد في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٤٢ من غير ذكر الكذب والشبهات .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٤٩ .

(٥) ورد في جامع البيان ٣٠/ ٢٦٣ ، والنكت والعيون ٦/ ٣١٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٤٢ مختصراً جدّاً ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٤٧ ، وفتح القدير ٥/ ٤٧٥ مختصراً جدّاً ، والدر المنثور ٨/ ٥٨٨ منسوباً إلى عبدالرزاق قلت : ولم أجده عند عبدالرزاق . وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٦) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٧) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٨) في (أ) : (قال) بغير واو .

(٩) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(١٠) ورد في تفسير مقاتل ٢٤٦ب ، وورد غير منسوب في زاد المسير ٨/ ٢٨٩ .

(وقال أبو إسحاق : «كتب مستقيمة غير ذات عوج ؛ تبيِّن الحق من الباطل على الاستواء»[١])[٢] .

وقال أبو عبيدة : «القيامة القائمة العادلة»[٣] .

وذكرنا تفسير القيم عند قوله : ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ [الأنعام :١٦١][٤] ، وهو من قام يقوم كالسيد والميت[٥] .

قال صاحب النظم : «(قيمة) مستوية محكمة ؛ من (قام يقوم) إذا استوى ، وصحَّ من قولهم : قام الدليل على كذا ، إذا أُظهِر[٦] واستقام ، ويجوز أن تكون (القيمة) بمعنى القائمة ، ما[٧] يراد منها من الحجة[٨] من قولهم : قام فلان بالأمر يقوم به ، إذا أجراه على وجهه ، ومنه يقال : للقائم بأمر القوم : القيِّم» .

وفي الحديث : «ما أفلح قوم قيمتهم امرأة»[٩] ، فيكون المعنى : كتب قيمة بالأحكام والحجج .

---

(١) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٥٠ بتصرف يسير .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) ورد في مجاز القرآن ٢/ ٣٠٦ بنصه .

(٤) مما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿قِيَمًا﴾ : «قال ابن عباس : يريد مستقيماً» ، ويجوز ذلك ، قال الأخفش ، والزَّجَّاج في القيم : «وهو من باب الميت والصيب ونحوه» .

(٥) بياض في (ع) .

(٦) في (ع) : (قام) .

(٧) في (ع) : (مما) .

(٨) بياض في (ع) .

(٩) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٥٠ بلفظ : («ما أفلح قوم يلي أمرهم امرأة» من طريق عبدالرحمن بن أبي بكرة) .

والقــول الأول أظهر ، وهو قول المفسرين[١] ؛ لأن هــذا الثاني لا يحتاج إلى تقدير محذوف .

ومعنى الكتب في قوله : ﴿ كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾ الآيات المكتوبة في الصحف .

قال صاحب النظم : «وتكــون كتب بمعنى حَكَمَ ، كقوله تعالى : ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ ﴾ [المجادلة :٢١] ؛ أي حَكَم الله» .

ومنه حديث العســيف[٢] : «لأقضــين بينكما بكتــاب الله»[٣] ؛ أي بحكم

---

(١) قال به الطــبري في جامع البيان ٣٠/ ٢٦٣ ، والســمرقندي في بحر العلــوم ٣/ ٤٩٩ ، والثعلبي في الكشف والبيان ١٣/ ١٣٢أ ، وانظر : معالم التنزيل ٤/ ٥١٢ .

(٢) عسيفاً : أي أجيراً ، وجمعه عسفاء . انظر : شرح صحيح مسلم ١١/ ٢١٨ .

(٣) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب الصلح ، باب (٥) ٢/ ٢٦٦ ، ٢٦٧ ح ٢٩٦٥ ، ٢٩٦٦ من طريق أبي هريرة ، وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما ، قالا : «جاء أعرابي فقال : يا رسول الله ، اقضِ بيننا بكتاب الله ، فقام خصمه فقال : صدق ، اقضِ بيننا بكتاب الله ، فقال الأعرابي : إن ابني كان عسيفاً على هذا ، فزنى بامرأته ، فقالوا لي : على ابنك الرجم ، ففديت ابني منه بمائة من الغنم ووليدة ، ثم ســألت أهل العلم فقالوا : إنما على ابنك جلد مائة وتغريب عام . فقال النبي ﷺ : «لأقضين بينكم بكتــاب الله ، أمَّا الوليدة والغنم فرد عليك ، وعلى ابنك جلد مائــة وتغريب عام . وأمَّا أنت يا أنيس لرجل ، فاغدُ على امرأة هذا فارجمها» ، فغدا عليها أنيس فرجمها» .
وفي البخاري أيضاً في كتاب الشروط ، باب (٩) ٢/ ٢٧٦ ح ٢٧٢٤ ، ٢٧٢٥ ، وكتاب الحدود ، باب (٣٠) ٤/ ٢٥٦ ح ٦٨٢٧ ، ٦٨٢٨ ، وكتاب الحدود ، باب (٣٤) ٤/ ٢٥٩ ح ٦٨٣٥ ، ٦٨٣٦ ، وكتاب الحدود ، باب (٣٨) ٤/ ٢٦١ ح ٦٨٤٢ ، ٦٨٤٣ ، وكتاب الحدود ، باب (٤٦) ٤/ ٢٦٤ ح ٦٨٥٩ ، ٦٨٦٠ ، وكتاب الأحكام ، بــاب (٣٩) ٤/ ٣٤١ ح ٧١٩٣ ، ٧١٩٤ ، وكتــاب الآحاد ، باب (١) ٤/ ٣٥٥ ح ٧٢٦٠ في كتاب الاعتصام ، باب (٢) ٤/ ٣٥٥ ح ٧٢٦٠ ، وكتاب الاعتصام ، باب (٢) ٤/ ٣٥٩ ح ٧٢٧٨ ، ٧٢٧٩ ، ومسلم في صحيحه في كتاب الحدود ، باب (٤) ٣/ ١٣٢٤ ح ٢٥ ، وأبو داود في السنن في كتاب الحدود ، باب : في المرأة التي أمر النبي ﷺ برجمها من جهينة ٢/ ٥٠٥ ، ومالك في الموطأ في كتاب الحدود ٢/ ٦٢٧ ح ٦ ، وأحمد في المسند ٤/ ١١٥ ، ١١٦ ، والدرامي في كتاب الحدود ، باب (١٢) ٢/ ٦١٩ ح ٢٢٣١ ، وابن ماجه في ســننه في كتاب الحدود ، باب (٧) ٢/ ٨٥ ح ٢٥٧٧ ، =

الله[١] . فيحتمل على هـذا أن يكون ﴿ كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾ أحكاماً قيمةً . ثم ذكر مَن لم يؤمن من أهل الكتاب .

٤. قوله تعالى : ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ .

قال المفسرون : «لم يزل أهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد ﷺ ، لأن نعته معهم ، فلمَّا بعثه الله تفرَّقوا في أمره ، واختلفوا ، فآمن به بعضهم ، وكفر آخرون»[٢] .

وهذا المعنى مذكور في مواضع من التنزيل كثير[٣] .

والمراد بالبيِّنة النبي ﷺ[٤] كما ذكرنا آنفاً[٥] . وذكر الله -تعالى- فريقين[٦] من الكفار في أول السورة أسلموا لمّا أتاهم النبي ﷺ ، وذكر هاهنا فرقة واحدة ثبتوا على الكفر ، وهم من أهل الكتاب ؛ ذلك لأن المشركين لم يقروا على دينهم ،

= والترمذي في سننه في كتاب الحدود ، باب (٨) ٣٩ ، ح ١٤٣٣ ، والنسائي في سننه في كتاب آداب القضاء ، باب (٢٢) ٨/ ٦٣٢ ، ٦٣٣ ح ٥٤٢٥ ، ٥٤٢٦ .

(١) ورد قول صاحب النظم في فتح القدير ٥/ ٤٧٥ ، وورد غير منسوب في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٤٣ .

(٢) حكاه عن الأكثرين البغوي في معالم التنزيل ٤/ ٥١٣ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٢٨٩ ، والشوكاني في فتح القدير ٥/ ٤٧٥ ، وقال به الطبري في جامع البيان ٣٠/ ٢٦٣ ، وانظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٤٣ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٩٩ .

(٣) نحو قوله تعالى : ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران :١٠٥] ، وقوله تعالى : ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى :١٤] .

(٤) قال بذلك أيضاً عكرمة ، وابن جريج ، وذكره صاحب الدر المنثور ٨/ ٥٨٨ منسوباً إلى ابن المنذر .

(٥) الآية ١ من هذه السورة .

(٦) من أول السورة إلى قوله : ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ حكمها في مَن آمن من أهل الكتاب والمشركين . ومن قوله : ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ حكمه في مَن لم يؤمن من أهل الكتاب والمشركين بعد قيام الحجج . انظر : الكشف والبيان ١٣/ ١٣٢ب .

فمَن آمن منهم صار مؤمناً ، ومَن لم يؤمن قوتل وأريق دمه ، بخلاف أهل الكتاب الذين تفرَّقوا على دينهم بأخذ الجزية[١] .

ثم ذكر بماذا كانوا أمروا في كتبهم ، فقال :

٥. (قوله)[٢] : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ .

قال ابن عباس : «يريد وما أمروا في التوراة والإنجيل»[٣] .

وقال مقاتل : «يقول : وما أمرهم محمد إلَّا ليعبدوا الله ؛ يعني أنه لم يأمرهم إلَّا بإخلاص العبادة له ، فكان من حقهم أن يطيعوه»[٤] .

وقال الفرَّاء في قوله : ﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ : «العرب تجعل (اللام) في موضع (أن) في الأمر والإرادة كثيراً[٥] ، من ذلك قوله : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ﴾ [النساء :٢٦] ، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ﴾ [الصف :٨] قال في الأمر : ﴿وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ﴾ [الأنعام :٧١] ، وهي[٦] من قراءة عبدالله : (وما أمروا إلَّا أن يعبدوا الله)»[٧][٨] .

---

(١) المراد بالجزية : الخراج المضروب على رؤوس الكفار إذلالاً وصغاراً ، واسمها مشتق من الجزاء ؛ إمَّا جزاء على كفرهم لأخذها منهم صغاراً ، وإمَّا جزاء على أماننا لهم لأخذها منهم رفقاً . انظر : أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية ١/ ٢٢ ، والأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي ١٨١ . وقد أجمع الفقهاء على أن الجزية تؤخذ من أهل الكتاب ومن المجوس . انظر : أحكام أهل الذمة ١/ ١ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٣) ورد في معالم التنزيل ٤/ ٥١٤ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٩٩ ، وورد نحوه غير منسوب في التفسير الكبير ٣٢/ ٤٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٤٤ .

(٤) ورد في تفسير مقاتل ٢٤٦ب بمعناه .

(٥) في (أ) : (كثير) .

(٦) في (أ) : (وفي) .

(٧) قراءة عبدالله شاذة السند لعدم ورودها في كتب التواتر ، وهي من باب البيان ، وليست القراءة القرآنية .

(٨) معاني القرآن ٣/ ٢٨٢ .

وقوله : ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ . قال أبو إسحاق : «أي يعبدونه موحِّدين له ، لا يعبدون معه غيره»[(١)] ، ويدل على هذا قوله : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا﴾ [التوبة :٣١] .

وقوله : ﴿حُنَفَآءَ﴾ . قال ابن عباس : «على دين إبراهيم»[(٢)] .

وذكرنا معنى الحنيف والحنفاء في ما تقدَّم[(٣)] .

قوله تعالى : ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ؛ يعني المكتوبات في أوقاتها .

﴿وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ عند محلها .

---

(١) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٥٠ بنصه .

(٢) ورد في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٤٤ ، وورد نحوه عن مجاهد في التفسير الكبير ٣٢/ ٤٦ ، وورد غير منسوب في زاد المسير ٨/ ٢٩٠ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٩٩ .

(٣) جاء ذلك في مواضع عدة ، منها : سورة البقرة ، الآية ١٥٣ ، وسورة النساء ، الآية ١٣٥ ، وسورة الأنعام ، الآية ٧٩ . ومما جاء في تفسير الآية ١٣٥ من سورة البقرة : ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾ :
أمَّا معنى الحنيف فقال ابن دريد : «الحنيف العادل عن دين إلى دين ، وبه سُمِّي الإسلام الحنيفية ؛ لأنها مالت عن اليهودية ، والنصرانية» . قال أبو حاتم : «قلت للأصمعي : من أين عرف في الجاهلية الحنيف ؟ قال : لأن من عدل عن دين اليهود والنصارى فهو حنيف عندهم ، وكان مَن حج البيت سُمِّي حنيفاً ، وكانوا في الجاهلية إذا أرادوا الحج قالوا : هلموا نتحنَّف ، فالحنيف : المسلم ؛ لأنه مال عن دين اليهود والنصارى إلى دين الإسلام ، ومنه قيل للميل في القدم : حنف» . وعن أبي زيد أنه قال : «الحنيف : المستقيم» . وهذا القول اختيار ابن قتيبة ، والرياشي قالا : «الحنيفية : الاستقامة على دين إبراهيم» .
وأمَّا التفسير فروي عن ابن عباس أنه قال : «الحنيف المائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام» . وقال مجاهد : «الحنيفية : اتباع الحق» ، وروي عنه أيضاً : «الحنيفية اتباع إبراهيم في ما أتى به من الشريعة التي صار بها إماماً للناس بعده من الحج» . وقيل : «الحنيفية : إخلاص الدين لله وحده» . نقلاً عن البسيط ١/ ٩أ باختصار .

قال أبو إسحاق : «المعنى أنهم أمروا مع التوحيد بالإيمان مع النبي ﷺ ، وإقامة شرائعه»[١] .

ثم ذكر أن ذلك هو الإخلاص ، فقال[٢] : ﴿وَذَٰلِكَ﴾ ؛ أي ذلك الذي أمروا .

﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد الدين المستقيم»[٣] .

قال المُبرِّد[٤] ، (وأبو العباس[٥])[٦] ، وأبو إسحاق : «وذلك دين الملة القيمة . (والقيمة)[٧] نعت موصوف محذوف»[٨] .

قال أبو إسحاق : «يجوز أن يكون المعنى : ذلك دين الأُمة القيمة بالحق»[٩] .

وفي القيمة هاهنا قولان ذكرناهما في قوله :﴿كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ :

أحدهما : دين الملة القيمة ؛ أي المستقيمة ، والآخر ما ذكره أبو إسحاق .

وقال الفرَّاء في قوله : ﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ : «هو مما[١٠] يضاف إلى نفسه لاختلاف لفظيه»[١١][١٢] .

---

(١) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٥٠ بتصرف .
(٢) في (أ) : (يقال) .
(٣) لم أعثر على مصدر لقوله .
(٤) التفسير الكبير ٣٢/ ٤٧ .
(٥) يراد به أحمد بن يحيى ثعلب ، وقد ورد قوله في مجالس ثعلب ١/ ٥٩ ، وعبارته : (الأُمَّة القيمة) .
(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
(٧) في (ع) : (فالقيمة) .
(٨) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٥٠ .
(٩) المصدر السابق .
(١٠) في (أ) : (ما) .
(١١) في (أ) : (لفظه) .
(١٢) معاني القرآن ٣/ ٢٨٢ .

وهذا لا يجوز عند البصريين[١] على أنه لو كان على ما قال لقيل : دين القيم كما قال : ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [التوبة :٣٦] ، [يوسف :٤٠] ، [الروم :٣٠] .

ثم ذكر مَآل الفريقين ، فقال :

٦. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إلى قوله : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ .

قال ابن عباس : «يريد شر الخلائق»[٢] .

وقال مقاتل : «يعني شر الخليقة من أهل الأرض»[٣] .

(وقراءة البرية ، بغير همز[٤] ، وهو من برأ الله الخلق ، والقياس فيها الهمز إلَّا أنه مما تُرك همزه :كالنبي ، والذرية ، والخابية ، والهمز فيه كالرد إلى الأصل المتروك في الاستعمال ، كما أن من همز صار النبيء كان كذلك ، وترك الهمز فيه أجود ، وإن كان الهمز الأصل ؛ لأنه لمّا تُرك همزه صار همزه كردِّه إلى الأصول المرفوضة مثل هَتَنُوا وما أشبهه[٥] من الأصول التي لا تستعمل ، وهمزُ من هَمَزَ (البرية) يدل على فساد قول مَن قال : إنه من البر الذي هو التراب ، ألا ترى أنه لو كان كذلك[٦] لم

---

(١) واحتجوا بأن قالوا : «إنما قلنا بأنه لا يجوز ؛ لأن الإضافة إنما يراد بها التعريف ، والتخصيص ، والشيء لا يتعرف بنفسه ، لأنه لو كان فيه تعريف كان مستغنياً عن الإضافة ، وإن لم يكن له تعريف كان بإضافته إلى اسمه أبعد من التعريف ؛ إذ يستحيل أن يصير شيئاً آخرَ بإضافة اسمه إلى اسمه ، فوجب أن لا يجوز ؛ كما لو كان لفظهما مُتفقاً» . انظر : الإنصاف ٢/ ٤٣٧ ، ٤٣٨ .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله ، وورد نحوه غير منسوب في لباب التأويل ٤/ ٤٠٠ .

(٣) ورد في تفسير مقاتل ٢٤٦ب ، وورد نحوه غير منسوب في فتح القدير ٥/ ٤٧٦ .

(٤) قرأ نافع ، وابن عامر (خير البريئة) ، و(شر البريئة) ، مهموزتين ، وقرأ هشام بن عمار عن ابن عامر بغير همز ، وقرأ الباقون (شر البرية) ، و(خير البرية) بلا همز مع تشديد الياءين . انظر : السبعة في القراءات ٦٩٣ ، والقراءات وعلل النحويين فيها ٢/ ٧٨٩ ، والحجة ٦/ ٤٢٨ ، والمبسوط ٤١٣ ، وحجة القراءات ٧٦٩ ، والمهذب ٢/ ٣٢٩ .

(٥) في (أ) : (ما اسمه) .

(٦) في (أ) : (ذلك) .

يجز قول من همزه على حال إلَّا على وجه الغلط ، كما حكوا اســتلأمْتُ[١] الحجر ، ونحو ذلك من الغلط الذي لا وجه له في الهمزة[٢])[٣] .

ثم ذكر ما مستقر مَن صدَّق بالنبي ﷺ ، فقال :

٧. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ . وهو ظاهر التفســير إلى قوله : ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾

في الدنيا وتناهى[٤] عن معاصيه .

* * *

(١) في (أ) : (السلامة) .
(٢) في (أ) : (بالهمزة) .
(٣) ما بين القوسين نقله بيسير من التصرف عن الحجة ٦/ ٤٢٨ .
(٤) في (أ) : (تناها) .